6. التفسير الثقافي والدلالي لسياق تلقي الخطاب التلفزيوني
نموذج دافيد مورلي

اهتم دافيد مورلي بشكل كبير منتصف ثمانينات القرن 20 ببحث الاستعمالات الأسرية للتلفزيون، وحاول توضيح سيرورة عملية المشاهدة في السياق الأسري. اذ قام بإجراء دراسة اثنوغرافية على 18 عائلة بريطانية مكونة من شخصين راشدين وطفلين وتنتمي الى الطبقة العاملة في أغلبيتها. وتأتي دراسته في ظل انتشار تيار بحثي يقوم أساسا على توظيف المنهج الاثنوغرافي والمقابلات المعمقة ويعنى بدراسة الاستعمالات العائلية للمبتكرات التكنولوجية الجديدة بهدف فهم تأويل المشاهد للبرامج التلفزيونية، والوصول الى مؤشرات هذا التأويل انطلاقا من متغيرات **النوع، الانتماء الاجتماعي، والطبقة.**

ركز مورلي على فعل المشاهدة ضمن **السياق المنزلي** بغية فهم خصوصية الاستجابة الفردية لأنواع مختلفة من البرامج. وقد قام برصد الاختلافات بين العائلات من جهة وبين أفراد العائلة الواحدة من جهة ثانية بالتركيز على متغيرات النوع، المستوى التعليمي، الانتماء الطبقي، الاتجاه الأيديولوجي...الخ. واستبدل مورلي مفهوم "**فك الترميز**" بمفهوم "**سياق المشاهدة**"، وركز على طرق تأويل الرسائل ضمن السياق الاجتماعي والثقافي للفرد. وحاول فهم سلوك المشاهدة في سياق الترفيه العائلي من خلال التحقق من كيفية ترابط عوامل مثل نوع البرنامج، الوضع العائلي، والخلفية الثقافية وانتاجها ديناميكيات المشاهدة العائلية.

حسب مورلي تتم المشاهدة في سياق ما سماه شون كوبيت "**سياسة غرفة المعيشة**"، وطرح تساؤلات حول:

*كيف يتم تنظيم هذا الفضاء؟

*كيف يتم دمج التلفزيون والتقنيات الأخرى في هذا الفضاء؟

*هل غرفة المعيشة منظمة حول التلفزيون؟

*هل يتمتع أفراد الاسرة المختلفون بأوضاع مشاهدة مميزة ضمن تلك المساحة؟

*ما مقدار المساحة، وما هي الأنواع المتاحة لأي فرد من أفراد الاسرة في سياق نشاط مشاهدة التلفزيون؟

كما اعتمد مورلي على أعمال **لول _ Lull** التي قدمها سنة 1982 والتي تبحث في طرق اختيار البرامج التلفزيونية في المنزل (من المسؤول عن اختيار البرامج، كيف تتم عملية اختبار البرامج، كيف تتأثر هده الأنشطة بالعوامل السياقية، وانماط التواصل العائلي، والأدوار داخل العائلة) وقد أشار الى الخضوع الى اختيارات الغير في المشاهدة وأطلق على ذلك تسمية "**المشاهدة القصرية**".

استنادا الى اعمال **لول**، أشار **مورلي** الى مفهوم "السلطة" وتحكمها في تكوين العلاقات الاسرية، وأن توزيع السلطة داخل الاسرة هو الذي يحدد من يتحكم في اختيار البرامج التي تتم مشاهدتها في كثير من الأحيان (سياق علاقات القوة)، وتمنح السلطة داخل الاسرة حسب متغيري **الجنس والعمر**.

وقد أشار **جودمان** الى أن موقع التلفزيون المركزي في المنزل يسمح بكشف قواعد المشاهدة التي تعكس تركيبة الاسرة، توزيع القوة، انماط الصراع، الهيمنة، ووضع القواعد والقرارات داخلها.

الدراسات التي اجراها دافيد مورلي الى جانب عدد من الباحثين عرفت تداول مفاهيم جديدة مرتبطة بجوانب التلقي المختلفة والتي باتت توظف في تفسير عمليات التأويل والفهم للمحتوى الإعلامي وخاصة التلفزيوني.

أهم المفاهيم المتداولة:

1. مفهوم السياق المنزلي:

تنظر الاتجاهات الحديثة الى المشاهدة التلفزيونية باعتبارها نشاطا يوميا معقدا يجري في السياق المنزلي ويمارس ضمن العائلة. وتطرح عدة أسئلة حول:

*كيف يستخدم التلفزيون في المنزل؟

*كيف تتشكل سلطة اتخاذ القرارات المتعقلة بالمشاهدة (اختيار القنوات والبرامج)؟

*كيف تتحقق عملية الاتصال في هذا السياق؟

*كيف يتم ادماج التكنولوجيات المنزلية وتكييفها مع مستلزمات البيئة المنزلية؟

من خلال محاولة الإجابة على هذه الأسئلة، تسعى أبحاث التلقي الحديثة الى تطوير نموذج للاتصالات المنزلية يأخذ بعين الاعتبار نشاطات الاتصال المتنوعة التي تتعايش في وضعية المشاهدة التلفزيونية من بين تشكيلة الاستعمالات الأخرى للتكنولوجيات الاتصالية المنزلية، مع الاخذ بعين الاعتبار التشابه والتمايز بين الاسر.

من أجل تحليل السياق المنزلي ينبغي التركيز على:

1- الجمهور ليس مجرد عدد وانما فرد ديناميكي يمارس نشاطا اتصاليا في الحياة اليومية للأسرة (بمعنى اسقاط المفهوم العددي او الكمي للجمهور بحيث لم يعد عدد المشاهدين للبرامج والحصص هو المهم وانما يتم الاهتمام بنشاط المشاهدة في حد ذاته).
2- آراء وسلوكات الافراد ليست فردية ومنعزلة عن الظروف السياقية، فهي تتشكل وتعتنق وتعدل ضمن هذه السياقات.
3- التركيز على الكيفية التي يتم بها ادماج التكنولوجيات في الديناميكيات الداخلية وتنظيم الفضاء المنزلي.

2. مفهوم التكنولوجيات المنزلية:

*تتضمن التكنولوجيات المنزلية مجموع المنتجات والتكنولوجيات التي تستعمل في سياق الأنظمة الاجتماعية كوسائل اتصال جماعية وفردية، والتي تشغل حيزا في السياق الأسري.

*تنظر الأبحاث الى التلفزيون والتكنولوجيات كوسيلة اعلام منزلية أساسا، ينبغي النظر اليها في السياق العائلي وفي الوقت ذاته داخل السياق العام الذي يشمل الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

*تشير التكنولوجيا الى الثقافة التقنية، وثقافة الاستهلاك المرتبطة بها.

*استهلاك التكنولوجيا المنزلية (آلة تسجيل وقراءة الفيديو، الكمبيوتر الشخصي، المجيب الآلي، الهاتف.....) جعلها تشغل حيزا منزليا في السياقات الأسرية. ما جعل دراسات ما بعد الحداثة تهتم ببحث موضوع التكنولوجيا والممارسات المتولدة عنها والدلالات التي تثيرها.

فالتكنولوجيا تحمل قيمتين، قيمة مادية تتمثل في الوسائل المادية، وقيمة رمزية تتشكل من خلال الاستعمال، ما يجعلها تتحول الى نظام تقني ومادي واجتماعي وثقافي يشمل قواعد واستعمالات

وعلاقات، لذا تطرح التساؤلات التي تسعى الى فهم كيف يتم ادماج التكنولوجيا في الحياة العائلية، وكيف تؤثر الحياة العائلية في التكنولوجيا المنزلية.

1. مفهوم الديناميكية العائلية:

تم تعديل مفهوم الجمهور الذي لم يعد مجرد فرد مشاهد، وانما أصبح ينظر اليه باعتباره عضوا في جماعة المشاهدة (العائلة)، وأصبح ينظر للأسرة كمجال نشط للممارسات الاجتماعية التي تتأثر بعاملين أساسيين:

*المحيط الاجتماعي والثقافي الكلي للمجتمع.

*الخصوصيات الموجودة داخل كل عائلة والتي تحدد درجات تفتحهم/ انغلاقهم على التأثيرات الخارجية (أكثر أو اقل حساسية للمحتوى الإعلامي).

*دراسة استعمال التكنولوجيات المنزلية الجديدة وتأويل الرموز التي تحملها هذه التكنولوجيات ومضامين الرسائل التي تنقلها يتم من خلال بحث شقين:

1- **الديناميكيات الداخلية للأسرة:** أو علاقاتها الداخلية التي تبرز تمايز سلوك أعضائها تبعا لاختلاف متغيري السن والنوع.

2- **ديناميكيات العلاقات الخارجية:** فطبيعة العلاقات مع العالم الخارجي تؤثر في كيفية تأويل دلالات الرموز التي تحملها الرسائل الإعلامية وكيفية الاستجابة لمضامينها.

الى جانب هذا يجري تحليل طبيعة القرارات المتخذة داخل البنية العائلية والكيفية التي تتخذ بها هذه القرارات، وأيضا الكيفية التي تناقش بها القضايا المرتبطة باختيار المحتوى.

*تمكن دراسة الديناميكيات العائلية من تحليل المشاهدة و / أو الاستعمال الفردي في إطار العلاقات العائلية من خلال التفاعلات التي تحدث داخلها. ويسمح هذا السياق بتحديد العوامل الحاسمة في ممارسة المشاهدة من حيث السلطة والمسؤولية والرقابة في مكان معين وفي أوقات معينة.